حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠٢٠)
eg.ekb.journals.aafu.http://www
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

حجاجية لغة الجسد
(نماذج مختارة من القرآن والحديث الشريف)

هند رأفت السيد عبدالفتاح*

المدرس بكلية الآداب- قسم اللغة العربية- جامعة عين شمس

المستخلص

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن التواصل غير اللفظي عبر إشارات الجسد يمثل نسقا تواصليا داعما لنسق التواصل اللفظي؛ إذ يسهمان معا فى إزجاء عملية الفهم بين المرسل والمستقبل. وقدأطلق المحدثون من علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا واللغة على هذا النظام الإشاري علم لغة الجسد.

وفى هذه الدراسة حاولت الباحثة إلقاء الضوء على الدور الذى تلعبه لغة الجسد فى إرساء حجاجية المعنى. وقد تم التوصل فى هذه الدراسة إلى أن حجاجية لغة الجسد تتقوم من خلال نسقين من الإشارة؛ النسق الأول: هو نسق الإشارة الجسدية المقصودة والتى يتعمد المرسل إرسالها إلى المستقبل. والنسق الثانى: هو نسق الإشارة الجسدية غير المقصودة وهى الرسالة العفوية التى لا يقصدها المرسل، ولكنها تفسر ما سكت عنه لسانه.

وتسمى الحجج التى تنتمى لذلك النسق؛ أولا: حجة الحالة وتعنى انتقال الجسد من حال إلى حال، ثانيا: حجة النصبة وتعنى التعبيرات المختلفة للجسد فى المقام الواحد.وتبعا لنظرية الجشطالت تقوم كل من الحجتين بوصفيهما من إشارات الجسد بسد فجوات النص مما يسهم فى توضيح الرسالة اللفظية وتفسير ما أبهم منها، بحيث تقوم تعبيرات الجسد فى النص بسد فجوات التعبير اللفظي.

الكلمات المفتاحية:

الحجاج – لغة الجسد – نظرية الجشطالت – النصبة – فجوات النص

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

مقدمة

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن التواصل غير اللفظي عبر إشارات الجسد يمثل نسقا تواصليا داعما لنسق التواصل اللفظي؛ إذ يسهمان معا فى إزجاء عملية الفهم بين المرسل والمستقبل. وقد أطلق المحدثون من علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا واللغة على هذا النظام الإشارى الخاص بإشارات الجسد، علم لغة الجسد.

وهو علم بينىّ يعنى بدراسة "الحركة التعبيرية التى تصاحب الكلام أو تسد مسده ويكون لها معنى معين لدى جماعة لغوية معينة، وتتخذ هذه الحركات عدة أشكال، ولكنها تتوزع حسب الموقف "[١].

ويمثل النسق الإشاري عبر حركات الجسد نسقا أكثر مصداقية من النسق اللفظي البحت؛ وهو الأمر الذى جعل علماء النفس يصفون عملية استقراء لغة الجسد بكونها " أداة أخرى للفهم، جديرة بالثقة عند مقارنة الكلمات بالحركات؛ إذ إنها لا تخدع كما تخدع الكلمات " [٢]، وهو مضمون ما قاله فرويد " عندما تصمت الشفاه فإن الأصابع تتكلم "[٣]

حيث أظهرت " الأبحاث أن تأثير الإشارات الجسدية غير المنطوقة يعادل خمسة أضعاف تأثير اللغة المنطوقة، وأنه عندما لا يتناغم الاثنان فالناس...يعتمدون على الرسالة غير اللفظية ولا يهتمون بالمستوى اللفظي " [٤]، وقد رأى " بيردوستل " وهو أحد رواد دراسات التواصل غير اللفظي أن " المكون اللفظي لمحادثة...يمثل أقل من ٣٥% وأن أكثر من ٦٥% من التواصل يتحقق بشكل غير لفظي "[٥].

ومن هنا نتبين مدى قوة الإشارات الجسدية فى النصوص المكتوبة من حيث كونها تمثل ضمانا لاستمرار عملية الاتصال بين المرسل والمستقبل بتوجيهها لعملية الفهم .

منهج الدراسة والهدف منها:

قامت هذه الدراسة على استخدام منهج الحجاج التداولى؛ إذ إن التداولية تعنى بدراسة المعنى فى سياقه الاتصالى، من خلال ضوابط المقام، ولما كانت لغة الجسد هى البوتقة التى تستوعب عناصر المقام، من خلال الإشارات والإيماءات والحركات وأوضاع الجسد فإن المنهج التداولى يعد أجدر المناهج لدراسة الدور الذى تلعبه لغة الجسد فى إثبات المعنى.

وإذا أضفنا إلى ذلك النسق الحجاجي والإقناعي، وجدنا أن لغة الجسد تضيف إلى حجاجية التعبير اللفظي البحت، نسقا آخر من الحجاجية، يدعم هذه الحجاجية، ألا وهو حجاجية لغة الجسد، بوصفها ذلك النسق الحجاجي الذى تؤديه الإشارات والحركات والتعبيرات الجسدية فى النصوص، من خلال تدعيمها لعملية الفهم وذلك من خلال توجيهها لصحة القصد وصدق الدلالة.

ومن هنا يمكن القول إن لغة الجسد تمثل إحدى آليات الحجاج، فى النصوص المكتوبة، مثلها مثل الآليات الأخرى التركيبية، كالروابط والعوامل الحجاجية، بحيث تصبح حجاجية لغة الجسد، آلية داعمة للنسق الملفوظ من الناحية الحجاجية فتقوى المعنى الحجاجي فيه، لما ذهب إليه العلماء من أن لغة الجسد " تعمل على توكيد الدلالة اللفظية... فضلا عن قيامها بسد النقص الذى تتسم به تلك اللغة فى كثير من الأحيان " [٦].

ومن هنا اهتم البحث بدراسة حجاجية لغة الجسد فى القرآن الكريم والحديث الشريف من خلال نماذج متفرقة اتضح فيها الدور الحجاجي للغة الجسد، لما اشتملت عليه لغة القرآن الكريم والحديث الشريف من نماذج لغوية غنية بالإشارات الجسدية التى تثرى الدرس الحجاجي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة حجاجية لغة الجسد فى نماذج متفرقة من القرآن الكريم والحديث الشريف فيما يلى:

١. أهمية الكشف عن علاقة لغة الجسد بالحجاج وهو الأمر الذى لم يفرد له الباحثون دراسة خاصة.

٢. أهمية دراسة لغة الجسد من خلال المنهج التداولى؛ لأن التداولية تدرس دور المقام فى توجيه المعنى، ولغة الجسد تمثل محوراً رئيسياً فى تشكيل عامل المقام.

٣. الكشف عن بعض الأنماط الحجاجية للغة الجسد فى القرآن الكريم والحديث الشريف من خلال النماذج المختارة.

الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقة الخاصة بهذه الدراسة إلى ثلاثة محاور؛ الأول: دراسات خاصة بلغة الجسد، ثانيا: دراسات خاصة بالحجاج فى القرآن الكريم، ثالثا: دراسات خاصة بالحجاج فى الحديث الشريف، وهى كالتالى:

أولا: دراسات خاصة بدور لغة الجسد فى توجيه المعنى داخل النص وهى:

١. دراسات لسانية فى الحديث النبوى، أ.د أحمد عارف حجازى، دار فرحة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط١.

٢. العبارة والإشارة، ا.د محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م،ط١

٣. البيان بلا لسان، مهدى أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٧، ط١.

٤. لغة الجسد فى القرآن الكريم، كمال عبدالعزيز إبراهيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٠م، ط١

٥. لغة الجسد فى التراث العربى، د. خالد عبدالرؤوف، مجلة جامعة القدس، العدد٣٦، حيزران،٢٠١٥م.

ثانيا: دراسات خاصة بالحجاج فى القرآن الكريم وهى:

١. الحجاج فى القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابى، بيروت، ٢٠٠٧، ط١

٢. الحوار والحجاج فى القصص القرآنى، رسالة دكتوراه، إعداد: منال سليمان على الساعدى، إشراف: أ. د محمد عبدالمطلب، جامعة عين شمس، كلية الآداب،٢٠١٧م

٣. البعد التداولى للنسق الحوارى فى القرآن الكريم: مقاربة معرفية حجاجية، د.عبدالرحمن محمد طعمة، قرآنيكا،مجلة عالمية لبحوث القرآن، مركزبحوث القرآن جامعة ملايا - ماليزيا، المجلد (١)، ع (١)، يونيو ٢٠١٨م

ثالثا: دراسات خاصة بالحجاج فى الحديث الشريف وهى:

١.الحجاج فى الخطابة النبوية، د. عبدالجليل العشراوى، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٢م، ط١

٢. الحجاج فى الخطبة النبوية، د. جمعان بن عبدالكريم الغامدى، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد العاشر، رجب ١٤٣٤ه-مايو٢٠١٣م

٣.الحجاج فى الحديث الشريف دراسة تداولية، آمال يوسف المغامسى، الدار المتوسطية للنشر، تونس،٢٠١٦، ط١
٤.حجاجية الصورة الفنية فى الحديث النبوى، حورية عميروش، مجلة دراسات لسانية،مجلة دورية محكمة،جامعة أونيسى على، الجزائر،العدد٦، مارس٢٠١٧.

دلالة الإشارة الجسدية عند النحاة وعلماء الأصول والبلاغيين

انتبه العلماء العرب إلى أهمية الإشارة الجسدية بوصفها وسيلة تواصل غير لغوية، وقد اهتمت الدراسات العربية قديما بدلالة الإشارة الجسدية؛ حيث توزع مفهوم دلالة الإشارات الجسدية بين عدة حقول معرفية.

دلالة الإشارة الجسدية عند النحاة

فقد تطرق النحاة واللغويون إلى دلالة الإشارة الجسدية ودورهافى إثبات المعنى وتوكيده أو إضافة معنى جديد وذلك منذ أيام سيبويه ت ١٨٠ه، ولعل أبرز النحاة واللغويين الذين تحدثوا عن الإشارة الجسدية ودورها الدلالى، ابن جنى ت٣٩٢ ه؛ ويتجلى ذلك فى شرحه للبيت القائل:

" "تقول وصكت وجهها بيمينها أبعلى هذا بالرحى المتقاعس[٧]

فلو قال حاكيا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس من غير صك الوجه لعلمنا بذلك أنها منكرة متعجبة، لكنه لما حكى الحال، فقال وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل ليس المخبر كالمعاين"[٨].

فقد جعل ابن جنى الإشارة الجسدية المشار إليها فى النص وهى صك الوجه، ضربا من حكاية الحال؛ حيث أفادت حكاية الحال المستندة إلى لغة الجسد (صك الوجه)، قوة فى المعنى الأساسى إذ إنها قد أفادت شدة الإنكار والتعجب. فربط ابن جنى بين الدلالة الجسدية والمعنى الزائد؛ فلغة الجسد قد أفادت توكيد دلالة التعجب والإنكار.

دلالة الإشارة الجسدية عند علماء أصول الفقه

كذلك فإن من أقدم علوم العربية التى تعرضت لدلالة الإشارة الجسدية، علم أصول الفقه، فهو أقدم العلوم العربية، إذ يعد كتاب الرسالة للإمام الشافعى ت ٢٠٤هـ مؤسس علم أصول الفقه، من أسبق المؤلفات العربية، وقد تحدث علماء أصول الفقه عن دلالة الإشارة الجسدية مع ربطها بمفهوم الحجة على أساس أن "كل حجة فإن تأثيرها هو تمكن المعنى فى النفس أنه حق"[٩].

وقد تحدث علماء أصول الفقه، عن أصناف الحجج وجعلوا منها الحجج غير اللفظية التى تخضع لإشارات وحركات الجسد، على أساس أن هذه الحجج تمثل نمطا من الحجج غير الناطقة ولكنها "بمنزلة الناطقة...من حيث يجد العاقل معنى النطق فى نفسه عند حضور المعنى على قلبه"[١٠].

وفى هذا قسم العلماء العرب القدماء الحجج غير اللفظية إلى نوعين: الإشارة والحالة؛ ذلك أنه "لا يخلو البيان الذى هو حجة من خمسة أقسام: لفظ وخط وعقد وإشارة وحالة"[١١].

"وكل حجة تجب من جهة الحس فهى من باب الحال، وكل حس حال"[١٢]،ومصادر الحس هى "المبصرات المذوقات والأشكال والأجسام وما أشبه ذلك"[١٣].

"والنصبة تشارك الحال وهى انتصاب الجسم ومايشاهد عليه من قيام وقعود وانحراف إلى بعض الجهات المحيطة به وهى ست جهات وهى فوق وتحت وامام وخلف ويمين وشمال"[١٤].

ولا شك أن حديث القدماء من علماء أصول الفقه عن الإشارة المقصودة والنصبة والحالة؛ إنما يشير إلى ما يتحدث عنه المحدثون اليوم من قولهم دلالة لغة الجسد، والتى تطلق على الدور الذى تلعبه الإشارات الجسدية فى التواصل.

وهذه الإشارات الجسدية قد تكون عفوية أو غير مقصودة ولكنها ذات طبيعة ماسة، بما سكت عنه اللسان، كما يتضح فى الدلالة الخاصة بـ (النصبة) و (الحالة) أى الموقف. وقد تكون هذه الإشارات متعمدة أو مقصودة من جهة المرسل، وكلا النوعين من أنواع الإشارة يسهمان معاً فى إثبات المعنى الحجاجي.

وقد عنى علماء أصول الفقه بحجة الإشارة؛ تلك الحجة التى تخضع لسنن الإشارة المقصودة من جهة المرسل وفيها نوع من المباشرة، أى التواصل المباشر بين المرسل والمتلقي، فى حين أن حجة الحالة التى تتقاسمها النصبة وهى حالة الجسد قد لا تتضمن قصد المرسل ولا المباشرة.

وهى تشير إلى تلك الحالة التى يدخل فيها الجسد فى علاقة تعبيرية مع مسارب الحس بحيث يتكون لدينا موقف مكون من مجموعة من الصور الحسية التعبيرية التى كان من الممكن أن تعبر عنه اللغة بمضمون لفظى خالص، إلا أنها عدلت عن المضمون اللفظي الخالص إلى الملفوظ التصويرى بحيث تعبر عن الموقف من خلال مجموعة من الصور الحسية الجسدية.

وإلى جانب كون تلك الحجج المقامية؛ التى تخضع لمعنى النصبة أو الحال، تتمثل بطريقة عفوية أو طبيعية، يذكرها النص بوصفها نوعا من التسجيل البصرى للموقف، إلا أن هذا لا يمنع من وجود الكثير من الحجج الخاصة بالنصبة والحالة، التى تخضع لقصد المرسل بهدف إضافة معنى معين إلى المستقبل أو المتلقى، وفى كلتا الحالتين المقصودة وغير المقصودة، فان حجتى النصبة والحالة تلعبان دوراً كبيراً فى إرساء عملية التواصل بين المرسل والمستقبل.

دلالة الإشارة الجسدية عند البلاغيين:

تحدث البلاغيون عن دلالة الإشارة وأشهر ما فى هذا الباب ما ورد عن الجاحظ فى قوله:

" وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها: اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال وتسمى نصبة...فأما الإشارة فباليد وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف... والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط...وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض"[١٥].

ومن ذلك قوله أيضا: "حسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان"[١٦]

لقد جعل الجاحظ الإشارة شريكة اللفظ فى إثبات المعنى بل إنها قد تنوب عنه فى إنتاج المعنى فى أحيان أخرى، وتحدث عن دلالة النصبة، ولكن دلالة النصبة عنده اختلفت عن دلالة النصبة عند الأصوليين؛ فعلى حين كانت دلالة النصبة عند الأصوليين تميل إلى حيز الإشارات الجسدية حيث أشارت إلى الأوضاع المختلفة لانتصاب الجسد على وجه الخصوص، فإن دلالة النصبة لدى الجاحظ تميل إلى حيز الاعتبار بالأشياء والمخلوقات الصامتة.

الحجاج البلاغى

وأشير إلى أن أهم مايميز مباحث الإشارة الجسدية أو التعبير الجسدى فى النسق البلاغى كونه يمثل نمطاً من أنماط التخييل، على أساس أنه يخضع لدلالة الصورة و مسارب الحس لأن التخييل تابع للحس، ولغة الجسد تابعة للحس، والتعبيرات الجسدية تعمد إلى تمثيل الموقف اللغوى البحت من خلال لغة الجسد فتغنى عن العبارة، وهذا ضرب من التخييل والتصوير.

وقد ربط القدماء الحس بالتخييل وهو التصوير كما نرى عند حازم القرطاجني اذ يقول "إنّ الأشياء منها مايدرك بالحس ومنها ماليس إدراكه بالحس، والذى يدركه الإنسان بالحس فهو الذى تتخيله نفسه لأن التخييل تابع للحس، وكل ما أدركته بغير الحس فإنما يرام تخييله بما يكون دليلا على حالة من هيئات الأحوال المطيفة به واللازمة له حيث تكون تلك الأحوال مما يحس ويشاهد"(١٧).

ولعلنا نلاحظ دقة قول حازم القرطاجنى إن "التخييل تابع للحس"(١٨)، فالملفوظ القولي لكى يكون أقرب إلى الفهم والإدراك، يتعمد المرسل إعطاءه طاقات حسية عالية بحيث يجعله دالاً حسياً من خلال التخييل أو التصوير وهو ما يشير إليه قول القرطاجنى "وكل ما أدركته بغير الحس فإنما يرام تخييله"(١٩).

لأن التخييل أقرب إلى النفس فيصير بذلك الملفوظ القولي الخالص ملفوظا تخييلياً أو تصويرياً والتصوير درجة من درجات التخييل، وكل من التخييل والتصوير يخضع لمسارب الحس لأن التخييل تابع للحس وأوقع فى النفس، ولعل كلامه يشير أيضا إلى طبيعة التفكير البشرى الذى يروم دائما تحويل المدرك غير الحسي إلى مدرك حسي مما يحس ويشاهد.

ولعل ما قاله القرطاجني من أن طبيعة التفكير البشرى فى طريقة إدراكها للأشياء تميل إلى تحويل المدرك غير الحسي إلى مدرك حسي، هو نفس ما رآه علماء النفس المحدثون من أن التفكير الذى يخضع للمستوى النفسي لا يتقوّم إلا من خلال الصور العقلية على أساس "أن التفكير يكون مصاحباً بطرز مختلفة من التصور تتضمن التصور البصرى والسمعى واللمسى"(٢٠) ولا شك أن لغة الجسد أو الصور الجسدية فى الملفوظ إنما قوامها هذا الأسلوب الحسى.

فالتخييل أقرب إلى التفكير الإنساني الذى هو تفكير صورى أى من خلال الصور، ومن ثم كان الكلام المصور أقرب إلى التذكر وأقرب إلى الفهم من خلال الأخذ بأطراف المعانى دفعة واحدة ووصولها إلى العقل غير متتابعة، فتكون أبلغ فى الإدراك لأن وصول المعلومة يكون أشمل وأسرع.

وهو ما أشار إليه القدماء من أن الملفوظات "متعاقبة لا تجتمع فى الوجود لعجز فى الآلات التى تصورها بصورها اللفظية"(٢١) لأنه لا يتصور أن ينطق اللسان بكافة الكلمات فى صوت واحد إذ لا بد من تعاقب الكلمات، وهذا بخلاف المعانى النفسية التى تمثل صورة ذهنية قبل التلفظ، "فالكلمات النفسية غير متعاقبة بل هى كلها مجتمعة فى الوجود"(٢٢).

والكلمات النفسية وجه آخر للصورة حيث إنها لا تتم إلا من خلال تقنية الصورة نفسها. فطبيعة التفكير فى العقل تسمح بتقديم الموقف على هيئة صور متصلة مرة واحدة.

ذلك أن الأسلوب التخييلي يكون قوامه - على أقل تقدير- هو الأسلوب الحسي الذى وإن لم يتضمن معنىً استعارياً فإنه يخضع لدلالة الصورة فى المقام الأول ودلالة الصورة هى الأصل فى لغة الجسد كما هى الأصل فى أسلوب التخييل أو التصوير مع الفارق أن

الصورة فى أسلوب التخييل قد تخضع للفانتازيا، أما الصوة فى لغة الجسد فتخضع لمكونات الصورة الحسية الطبيعية لا للفانتازيا.

وبهذا يتضح أن الإشارات الجسدية أو التعبير الجسدى يمثل نمطا من أنماط التخييل، كونه يخضع لدلالة الصورة و مسارب الحس لأن التخييل تابع للحس، ولغة الجسد تابعة للحس، والتعبيرات الجسدية تعمد إلى تمثيل الموقف اللغوى البحت من خلال لغة الجسد، وهذا ضرب من التخييل والتصوير.

وقد رأى القدماء أن مثل هذا الأسلوب التخييلى أو الأسلوب المعتمد على الصورة عموماً لا يخلو من ضرب حجاجى، إذ يقول السكاكى صاحب كتاب مفتاح العلوم:

"واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعانى مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر والسبب فى أن المجاز أبلغ من الحقيقة هو ما عرفت أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم؛ فأنت في قولك رعينا الغيث، ذاكراً الملزوم (النبت) مريداً به لازمه، بمنزلة مدعي الشيئ ببينة"(٢٣).

فهذا النص يشير إلى أن مزية الأسلوب التخييلي المتقوم بالاستعارة والكناية والمجاز عموما إنما تكمن فى ادعاء الشيء ببينة أى بحجة؛ فالبينة هى الحجة كما هو المعروف فى اللغة وكما هو شائع فى اصطلاح الأصوليين وأرباب الحجاج والذى يبدو أن السكاكى كان قد استعار طريقتهم فى كتابه مفتاح العلوم.

فقول السكاكي هذا يشير إلى أن الأسلوب التخييلي بوصفه أسلوبا حسياً تصويرياً يمتاز بأنه يحضر المعنى بحجة لازمة تشهد له، ومن هنا احتمل الأسلوب التخييلى نمطا حجاجيا، وقد استحضر السكاكي ذلك المثال وهو قول القائل: (رعينا الغيث)؛ فالقائل هنا أراد (رعينا النبت أو النبات) وهو الملزوم والمقصود ولكنه عدل عن ذلك وذكر اللازم وهو الغيث، لأن وجود الغيث هو علة وجود النبات، كما أن ظهور النبات حجة على نزول الغيث.

كذلك فإن المقطع المشار إليه من قول حازم القرطاجنى، يتمثل ذلك الفهم أيضا؛ وهو الفهم الذى يثبت للتخييل عموماً معنىً حجاجياً وذلك حين ربط التخييل بالدليل.

والدليل هو البرهان، والبرهان هو الحجة؛ ولكن بالطبع فإن الحجة فى هذا المقام حجة بلاغية تخييلية، وليست حجة واقعية كما هى عند علماء الأصول،وقدأشار القرطاجني إلى هذه الحجة البلاغية التخييلية حين قال "وكل ما أدركته بغير الحس فإنما يرام تخييله بما يكون دليلاً على حالة من هيئات الأحوال المطيفة به واللازمة له حيث تكون تلك الأحوال مما يحس ويشاهد".

فالمدرك غير الحسي حين يتحول إلى مدرك حسي إنما يكون ذلك ملزوما باستصحاب الدليل عليه من الحس من خلال حالة من هيئات الأحوال الحسية التى تناسب ذلك المدرك غير الحسي والذى هو أى قول لا يتضمن التخييل أو التصوير.

بحيث تصلح تلك الحالة الحسية لأن تكون دليلاً على هذا القول أو المدرك غير الحسى، بمعنى أن تكون تلك الحالة الحسية برهاناً على ذلك القول من خلال استصحاب اللفظ الخالى من الصورة - باعتبار الأصل - لحالة حسية تصويرية أو تخييلية تمثل دليلاً وبرهاناً وحجة أكيدة على المعنى.

ولعل أهم ما ينبغى الالتفات اليه أن حالات التواصل غير اللفظي عبر لغة الجسد سواء من خلال الإشارة المقصودة أولاً، أو دلالة النصبة ثانياً و هى التى تعبر عن حالات

انتصاب الجسد، أو دلالة الحال ثالثاً و هى التى تشير إلى تغير حالات الجسد تبعاً للمواقف المختلفة، إنما تخضع لما يسمى حديثاً بعلم اللغة النفسي؛ إذ دائماً ما تكون الإشارات الجسدية ألصق وأكثر اتصالاً بذلك المستوى الباطنى الذى يسبق المستوى اللفظي.

والفكرة الأساسية فى الدور الذى تقوم به لغة الجسد عند التواصل تكمن فى أن المعيار الأساسى لوضوح الرسالة بين المرسل والمستقبل إنما يكمن فى مدى التطابق بين الكلام النفسي فى المستوى الباطني والكلام الملفوظ فى المستوى الظاهر.

بمعنى أن هذا التطابق بين النفسي واللفظي هو الذى يمثل معيار كفاءة التواصل بين المرسل والمستقبل والتى يؤشر لها بدرجة التطابق بين النفسي واللفظي، واللفظي يؤشر له باللغة المنطوقة، أما النفسي فيؤشر له بلغة الجسد.

وذلك سواء قصد المرسل إلى تسجيل لغة الجسد لإعطاء دلالة عند الاتصال وذلك من خلال الإشارة المقصودة، أو جاء تسجيل لغة الجسد فى الملفوظ عرضا دون قصد من المرسل؛ وذلك كما يتجلى من التعبيرات الجسدية التى يرسلها المرسل بطريقة عفوية عن غير قصد ولكنها تسهم فى إرساء المعنى النفسي وتوضيحه وذلك كما فى دلالتى النصبة والحال.

وحين تكون لغة الجسد المؤشرة للمستوى النفسي معضدة للمستوى اللفظي الخالص، فإننا نستطيع القول بوضوح الرسالة وشفافيتها، واتساق منظومة الفهم بين المرسل والمستقبل. أما حين تكون لغة الجسد المؤشرة للمستوى النفسي مخالفة للمستوى اللفظي الخالص، فإننا نستطيع القول بعدم وضوح الرسالة وتعمد المرسل لإخفاء الرسالة أو الكذب على المستقبل أو إعطاء رسالة وهمية للمستقبل بهدف تضليله.

ومن هنا فإن قضية الإدراك وهى القضية الأولى على معيار الكفاءة التواصلية، لا تتم إلا من خلال قياس مدى التطابق بين النفسي واللفظي.

ولهذا رأى علماء النفس المحدثون أنه عندما تختلف اللغة الملفوظة مع لغة الجسد المصاحبة لها فإن المصداقية تكون للغة الجسد، لأنها الأكثر تعبيراً عن الذات ومن الصعب اتخاذها أداة للتضليل، إلا بعد الكثير من التدريب، ومن هنا فإنه -كما سبق أن أشرت- قال علماء النفس المحدثون عن لغة الجسد إنها " أداة أخرى للفهم، جديرة بالثقة، عند مقارنة الكلمات بالحركات؛ إذ إنها لا تخدع كما تخدع الكلمات " [٢٤]

مع مراعاة أن القدماء قد أقروا بفكرة الكلام النفسي، كماجاء فى روح المعانى للألوسى "فأقول إن الإنسان له كلام بمعنى التكلم الذى هو مصدر، وكلام بمعنى المتكلم به الذى هو حاصل بالمصدر، ولفظ الكلام موضوع لغة للثانى، قليلاً كان أو كثيراً حقيقة كان أو حكماً، وقد يستعمل استعمال المصدر كما ذكره الرضىّ، وكل من المعنيين إما لفظى وإما نفسى... والأول من النفسي فعل قلب الإنسان ونفسه الذى لم يبرز إلى الجوارح والثانى كيفية فى النفس إذ لا صوت محسوسا عادة فيها وإنما هو صوت معنوي مخيل"[٢٥].

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فَأَسَرَّها يُوْسُفُ فِيْ نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُم شَرٌّ مَكَانا وَاللهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفوْنَ) (يوسف / ٧٧).

جاء فى روح المعانى "قال أي فى نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بالإسرار المذكور، كأنه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك فقيل: قال أنتم شر مكانا أى منزلة فى السرق، وحاصله أنكم أثبت فى الاتصاف بهذا الوصف وأقوى فيه حيث سرقتم أخاكم من أبيكم...واستدل بعضهم بالآية على الكلام النفسي بجعل قال بدلا من أسر"[٢٦].

"فالآية دالة على أن للنفس كلاما بالمعنى المصدرى وقولاً بالمعنى الحاصل بالمصدر"[٢٧].

ثم إن الكلام النفسي قد يخالف الكلام اللفظي؛ دل على ذلك ما رواه الطبرانى عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سأله رجل فقال: "إنى لأحدث نفسى بالشيء لو تكلمت به لأحبطت أجري فقال: لا يلقي ذلك الكلام إلا مؤمن"[٢٨].

ومن هنا فإنه يمكن القول إن معيار التطابق بين النفسي واللفظي يصلح لأن يكون معيارا لغويا نفسيا تداوليا يصلح لمقاربة أى نص من النصوص اللغوية.وذلك بقياس مدى عدول اللفظي عن النفسي. وكلما زاد العدول كلما زادت وهمية الرسالة، وراح الفهم وانقطع حبل الاتصال الصحيح بين المرسل والمستقبل.

وتأسيسا على ماسبق فإن لغة الجسد تعد هى المفتاح لفهم المعنى النفسي، ومن ثم تصبح معياراً لصدق الرسالة اللفظية ووضوحها أو العكس، وكلما تطابقت لغة الجسد مع المعنى اللفظي وأصبحت تعبيرات الجسد مؤيدة للمعنى اللفظي كلما زادت قوة الاتصال بين المرسل والمستقبل على معيار الفهم والإدراك، كما أن لغة الجسد تستطيع أن توضح المعنى أو أن تخصصه، كما أنها تستطيع أن تحل الإشكالات التى تطرحها اللغة الملفوظة، كما أنها تمثل نسقا حجاجيا يعمل على ترجيح معنى دون آخر.

حركة الرأس مع الجسد (سجود بنى اسرائيل) فى القرآن الكريم (قصة دخول بنى إسرائيل إلى بيت المقدس):

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن القرآن الكريم قد أشار إلى أهمية إثبات التطابق بين الكلام اللفظي والكلام النفسي ودور تعبيرات الجسد فى إثبات المعنى وإتمام عملية التواصل، وذلك من خلال قوله تعالى (إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة/٥٨) فالقرآن الكريم زاوج بين الملفوظ القولي الخالص وبين لغة الجسد المدلول عليها بهيئة دخولهم بيت المقدس التى سجلها النص الكريم بقوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا)(البقرة/ ٥٨)

فقد أشار النص الكريم إلى أنه يجب أن يكون كلام بنى إسرائيل حال دخولهم بيت المقدس، متسقاً مع تلك الهيئة الجسدية الخاشعة التى أمروا بالدخول عليها لا مغايراً لها، حتى تتم الرسالة المرجوة بين المرسل وهم بنو إسرائيل وبين المستقبل وهم أهل بيت المقدس، بمعنى أنهم قد "أمروا أن يقولوا قولا دالا على التوبة والندم"[٢٩]، ليتسق مع تلك الهيئة الخاشعة "والمراد خضعا متواضعين لأن اللائق بحال المذنب التائب والمطيع الموافق الخشوع والمسكنة"[٣٠].

فيتم التواصل الصحيح بينهم وبين أهل بيت المقدس من أنهم دعاة سلام لا دعاة حرب وأنهم قد دخلوا بيت المقدس بأمر إلهي، ولا يليق برسل الرب جل وعلا أن يدخلوا بيت المقدس متطاولين متكبرين متشفين فهذا لا يليق بأتباع نبي، وهو مالم يحدث بالطبع.

ولعلنا نلاحظ أن القرآن الكريم قد أثبت الملفوظ القولي مقترناً بلغة الجسد إيذاناً بكمال الاتصال بين المرسل والمستقبل، وإتماماً لعملية الفهم وحرصا على وضوح الرسالة بحيث لا يحدث فيها أي نوع من الالتباس أو الشك.

بل إن القرآن الكريم قد أثبت الهيئة الدالة على التعبير الجسدي أولاً ثم أعقبها بالقول، دلالة على أن التعبير الجسدى أقوى فى الدلالة من التعبير القولي لكونه متلاحما مع الدلالة النفسية.

وهذا السياق فى النص الكريم يطرح إشكالية حجاجية من النوع المباشر، وهى الحجة فى إنزال العذاب على بنى إسرائيل، وقد أخبر عنها القرآن الكريم مباشرة بقوله

تعالى (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(البقرة /٥٩)، فأطلق على كل من التعبير الجسدي والملفوظ القولي قولاً، دلالة على أن التعبير الجسدى يقوم مقام القول.

وعلى هذا تكون الوظيفة الحجاجية للغة الجسد هى تلك الوظيفة المؤيدة للمعنى اللفظي، والتى تمثلت فى دلالة النصبة المشار إليها بحالة هيئة السجود التى تشير إلى انحراف الجسد إلى أسفل خضوعا وخشوعا وهى من الهيئات اللازمة لذلك القول المتواضع، سواء بالتوضيح أو التأكيد أو التدعيم، كما اتضح من الآيات السابقة؛ فلغة الجسد (ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا) (البقرة/٥٨) تمثل حجة على صحة الملفوظ القولي (وقُولُوا حِطَّة) (البقرة/٥٨).

ومن ثم فإنه لو كان بنو إسرائيل قد التزموا بالأمر الإلهي القائل بوجوب التطابق بين اللفظي والنفسي، لكانت الدلالة الحجاجية هنا تصاعدية لأن لغة الجسد تسير فى نفس اتجاه اللفظ ومن ثم فإنها تحمل دلالات التطابق بين اللفظي والنفسي المدلول عليه بلغة الجسد، أو فلنقل كانت لغة الجسد ستكون حجة على المعنى المراد من اللفظ ودليلاً وبرهاناً على صدقه وصحته ووضوح رسالته.

ولكن لما كان التبديل طبع بنى إسرائيل أصبح إنزال الرجس عليهم حجة عكسية على تبديلهم الأمر الإلهي وعدم التزامهم به، وهى حجة تميل إلى دلالة الصورة أيضا، وهى صورة الرجس النازل من السماء، الناتج عن غضب الله عزوجل عليهم؛ فالنص لم يذكر الغضب الالهى ولكن دل عليه بدلالة الصورة التى هى حجة تصاعدية على هذا الغضب، كما هى حجة عكسية على تبديلهم أوامر الله جل وعلا.

حركة اليدين فى القرآن الكريم

(قصة يوسف عليه السلام):

ومن الإشكاليات الحجاجية التى تخضع أيضا لقصد المرسل ولكنها تعطى دلالة عكسية فى المقام الأول ما ورد فى قصة امرأة العزيز، فقد جاء فى القرآن الكريم (وقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (يوسف/٣٠)، فقول النسوة (إنّا نراها فى ضلال مبين) " تلويح بأنهن متنزهات عن أمثال ما هى عليه"[٣١].

ويبدو أن امرأة العزيز كانت امرأة على قدر من الذكاء، إذ أرادت أن تحتج على النساء بعكس مقالتهن فى حقها، وأنهن لسن متنزهات عن أمثال ما هي عليه، فلجأت إلى تسجيل موقف خروج يوسف عليه السلام عليهن، تسجيلاً إشارياً بصرياً جسدياً؛ يتضمن لغة الجسد التى تقف حجة عليهن فى عدم نزاهتهن عن امرأة العزيز.

فالموقف التصويري المشكل من لغة الجسد، يتضمن حجة على هؤلاء النسوة، فقد آثرت امرأة العزيز تسجيل لحظة إعجابهن بيوسف عليه السلام من خلال بيّنة وحجة جسدية وهى قطع الأيدي، فقد " أقامت عليهن الحجة وأوضحت لديهن عذرها وقد أصابهن من قبله ما أصابها "[٣٢]، ومن هنا فإن حجة قطع الأيدي بالسكين تمثل حجة عكسية لأنها تخالف الملفوظ القولي الذى يدعونه من اتصافهن بالنزاهة والشرف، من قولهن (إنّا نَرَاهَا فِيْ ضَلَالٍ مُبِين) (يوسف/٣٠).

لقد قامت امرأة العزيز بعمل معادل حركي بصري للمقالة اللفظية الخالصة التى يمكن أن يعتورها التدليس والكذب، فأعطت لكل واحدة منهن سكينا، ليصبح قطع اليد مؤشرا جسدياعلى تسجيل الحالة والموقف، المتضمن إعجابهن بيوسف عليه السلام.

ولتقف تلك الحجة المقامية المؤشر لها بلغة الجسد بديلا عن اللملفوظ اللغوى الخالص، فهى ضمان على عدم التضليل اللفظي الذى قد يتخذه النساء ضدها لأن الإشارة اللفظية سهلة التدليس.

فقد كان من الممكن أن يعجب النساء بيوسف عليه السلام وليس عليهن فى ذلك دليل، وإمعانا فى المكر بامرأة العزيز يدعين أنهن لم يعجبن به، وأنها تقبع فى ضلالها بمفردها وأنهن يلمنها فى ذلك، فأصرت على تسجيل الموقف النفسي الذى لا يمكن تسجيله إلا من خلال لغة الجسد.

حركة الجسم كله فى القرآن الكريم:

(قصة موسى عليه السلام مع ابنة شعيب):

وفى قصة موسى عليه السلام لمّا فرَّ هارباً من فرعون وذهب إلى أهل مدين، يطرح لنا النص الكريم فى سورة القصص إشكالية حجاجية مهمة على ما سأفصل، ولننظر إلى القصة القرآنية.

قال تعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)) (القصص/ ٢٣-٢٨).

لقد جاء على لسان ابنة شعيب عليه السلام (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) (القصص/٢٦) أى طلبت من أبيها استئجار موسى عليه السلام ليسقي لهم الغنم، ثم ان شعيب عليه السلام وافق ابنته، ولكنه بدلا من أن يطلب من موسى الاستئجار، عرض عليه الزواج من ابنته على أن يكون مهرها، استئجار موسى ثماني سنوات يرعى لهم الغنم وأتمها موسى عشر سنين، والسؤال هنا ما علاقة الاستئجار بالزواج، وكيف قفزت الدلالة من طلب الاستئجار إلى طلب الزواج؟ مما يدل على أن هناك كلاما نفسيا سكتت عنه اللغة، وعبرت عنه لغة الجسد.

أقول إن كلا من شعيب وموسى عليهما السلام، كان يحتاج إلى صاحبه؛ فموسى عليه السلام هرب من فرعون وليس له مأوى ولا مال فيحتاج للعمل عند شعيب فيسقي له غنمه بالأجرة، كما أن شعيبا عليه السلام لم ينجب إلا البنات على ما روى المفسرون، وكان يحتاج إلى أجير قوي كموسى عليه السلام، إذن هناك منفعة متبادلة فما الذى أدخل قصة الزواج فى هذا الأمر؛ ذلك أن ماسكت عنه النص الكريم فى هذه الحكاية القرآنية، لا يمكن تفسيره إلا من خلال لغة الجسد، التى طرحها النص الكريم.

حيث تتصل لغة الجسد بالحجة الجسدية المقامية الدالة على تفسير الإشكالية الحجاجية التى يطرحها النص وهى كالآتىّ: إذا كان شعيب يحتاج إلى موسى كما يحتاج موسى إلى شعيب، فما هى حجة موسى فى قبوله الزواج من ابنة شعيب عليه السلام مقابل هذا المهر الباهظ وهو أن يظل أجيرا لدى شعيب عشر سنوات؟

فالعقل يقول إن موسى عليه السلام وإن كان هاربا من فرعون فإنه لا يضمن لنفسه أن يستريح فى المقام عند أهل مدين طويلا لمدة عشرة سنوات، فقد يعمل أجيراً عندهم

لوقتٍ معين ثم يجد لنفسه مخرجاً آخر، وفى نفس الوقت فإن شعيباً عليه السلام نظراً لشدة احتياجه لموسى عليه السلام، فإنه قد رغبه، فى الاستئجار عشرة سنوات عنده بأن جعل هذا الاستئجار مهراً لابنته.

إن الحجة الجسدية المقامية هنا والتى يمكن تسميتها بحجة الموافقة أو التوافق بين شعيب وموسى عليهما السلام فى أمر الزواج، تمثل حجة جسدية استباقية مهدت للمتلقي، كون موسى عليه السلام يقبل بمهر باهظ مثل هذا، لقد أوضحت الحكاية القرآنية، أن موسى عليه السلام لما سقى للمرأتين تولى إلى ظل شجرة.

"قال ابن مسعود: ظل شجرة، قيل كانت سمرة "[٣٣]،إذن فقد أعقب حدث السقيا حدث السكون والاستظلال بالشجرة و فى حين الاستظلال بالشجرة، دعا ربه عزوجل بالفضل والنجاة من الفقر، وقد جاءت الحكاية مشفوعة بحروف العطف، كما فى حرف العطف (الفاء) فى قوله تعالى (فَسَقَى لَهُمَا) وحرف العطف (ثم) فى قوله تعالى (ثم تولى إلى الظل) (القصص / ٢٤) ثم حرف العطف (الفاء) مرة أخرى (فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ) (القصص/٢٤)؛ فحروف العطف هذه قد أفادت التعقيب وعلقت الأحداث التالية لها، بحدث رؤية المرأتين، وذلك إيذانا بتعلق الدعاء برؤية موسى للمرأتين؛ ابنتي شعيب عليه السلام.

ثم إن الدعاء الذى جاء به موسى عليه السلام، جاء على سبيل التعريض وليس التصريح، فهو لم يحدد ما الفقر الذى شعر به موسى عليه السلام، وإن كان ظاهر النص يشير إلى أن هذا الفقر، يشير إلى رغبته فى الطعام لما لاقاه من عناء فى طريقه من مصر إلى مدين.

أقول إن الحكاية القرآنية كان من الممكن أن تجعل الدعاء بالنجاة من الفقر حدثا ملازماً لموسى طوال طريقه فى الهروب، ولكن الحكاية القرآنية آثرت أن تجعل حدث الدعاء معقباً على رؤية موسى للمرأتين إلى جانب أن الدعاء لم يحدد ماهية الفقر وإنما جعلته عاماً، إيذاناً فى صرف معنى الفقر عن معناه المتبادر إلى معنى آخر محدد يتصل برؤيته عليه السلام للمرأتين ورغبته فى الزواج من إحداهما.

وقد ورد فى الأثر أن موسى عليه السلام لم يكن ليقبل الأجر، وجاء فيما " أخرج ابن عساكر عن أبى حازم قال لما دخل موسى على شعيب عليهما السلام إذا هو بالعشاء فقال له شعيب: كل، قال موسى أعوذ بالله تعالى، قال ولم ألست بجائع ؟ قال بلى ولكن أخاف أن يكون عوضا عما سقيت لهما وإنا من أهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبا"[٣٤]، على ما يشى بأن هدف موسى من لقاء شعيب عليهما السلام لم يكن بهدف أخذ أجر السقيا.

إن الصورة القرآنية حملت صورة لغة الجسد الذى استظل بشجرة، وما تطرحه صورة الشجره من الظل والاستناد إلى جذعها وهو ما يوحى بمعنى السكون والراحة، إلى جانب ما تطرحه من معنى الستر و الاستتار عن القيظ وحر الشمس " قيل جعل ظهره يلى ما كان يلي وجهه من الشمس"[٣٥].

إلى جانب ما يحمله الموروث الثقافى عن الشجرة من كونها شجرة العائلة، إن الصورة القرآنية تطرح رغبة موسى عليه السلام فى الزواج من إحدى المرأتين بأن يسكن إلى إحداهن كما سكن إلى الشجرة، وأن يتزوج من إحداهن، فتكون ستراً وظلاً له كما أظلته الشجرة.

إذن معانى الظل التى حملها الموقف الجسدى الخاص بالاستظلال بالشجرة والذى أتى بعد رؤية المرأتين هو ما جعل الحجة الجسدية تحمل تعليلاً مستبقاً وممهداً، لسيرورة النص الكريم نحو حدث الزواج لا حدث الاستئجار.

فلغة الجسد هنا تحمل نمطا تعليليا حجاجيا؛ فالحجة الجسدية هنا حجة جسدية مؤذنة برغبة موسى عليه السلام فى الزواج من ابنة شعيب، والتى حكى المفسرون كونه تزوج فعلا من ابنة شعيب التى جاءته على استحياء وطلبت من أبيها أن يستأجره.

كما أن هذه الحجة المقامية الجسدية هى التى آذنت بأن ثمة إعجابا قد حدث بين موسى والمرأة و قد مثلت حجة استباقية على موافقة ابنة شعيب، على الزواج من موسى عليه السلام، رغم فقره ومطاردة فرعون له، وهذه الحجة الاستباقية هى التى حولت دلالة طلب الفتاة لاستئجار موسى من التصريح إلى التعريض، بمعنى أن سؤالها الاستئجار كان تعريضا بالزواج من موسى عليه السلام فى قولها (يا أبت استئجره إنّ خير من استأجرت القوى الامين)، وقد شفعت طلبها بحجة تعليلية وهى (إنّ خير من استاجرت القوي الأمين) "وهو تعليل جار مجرى الدليل"[٣٦] أى الحجة على رجاحة طلبها فى الزواج من موسى.

وقد جاءت الحجة هنا تنازلية حيث جاءت المقدمة مؤخرة وهى القوىّ الأمين، كماجاءت النتيجة أولا وهى اتصال جوهر موسى بالخيرية، وهو ما فهمه أبوها بدليل طلبه من موسى الزواج من ابنته مقابل استئجاره للعمل؛ فشعيب عليه السلام كان من الممكن أن يطلب استئجار موسى بعيداً عن طلب النكاح، لكنه قد طلب النكاح لما فهمه من خطاب ابنته وتعلقها بموسى عليه السلام.

حجاجية لغة الجسد فى الحديث الشريف

لعل أهم ما ينبغى الالتفات إليه أن "الأحاديث الشريفة فى أصلها المتقادم، تردد بين قطبين: لفظي تستقى منه دلالة وآخر حركي تستقى منه دلالة أيضا،وقد كان من حضر مجلسه الشريف ذاك مدركاً لما أراده صلى الله عليه وسلم مستعينا على تعيين المعنى المراد بالسياق بمعناه العريض الحالي والمقالي، ولا يخفى أن حركته الجسدية هى التى عينت المعنى وخصصته ، ومن هنا تعمد رواة الحديث الشريف تسجيل الحركة الجسدية للنبى صلى الله عليه وسلم " بألفاظ مخصوصة أشهرها: وقال بكذا وهى رواية للفعل بالقول ورواية للحركة بالكلمة ولذلك كثر قول الراوي الأمين الناقل للحركة والممثل لها بكلمات من خاص لفظه مثل: فقال بيده، وقال برأسه، وقال بإصبعيه وقال هكذا "[٣٧].

ولا شك أن نمط الحركة الجسدية التى وثقها رواة الحديث الشريف إنما تخضع لسنن الإشارة المقصودة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم وهى تمثل نمطا للتطابق بين اللفظي والنفسي، بوصف النبيّ صلى الله عليه وسلم يبلغ رسالة تكليفية للمستمعين؛

حيث تعد أحاديث النبيّ صلى الله عليه وسلم التى حملت وجهة تعليمية هى الأشهر فى هذا الباب، إذ تطل علينا الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى زاوجت بين اللفظي والجسدى لضمان وضوح الرسالة التعليمية؛ لأن الهدف النبوىّ الأول كان هو تعليم الأمة.

حركة اليدين فى الحديث الشريف:

(حديث كافل اليتيم وحديث أشراط الساعة):

ولعل من أبرز هذه الحركات الإشارية التعليمية حركة اليدين، والتى اشتهرت فى كثير من الأحاديث النبوية، كما فى حديث اليتيم وذلك كما فى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وقال بإصبعيه السبابة والوسطى)[٣٨].

ولعلنا نلاحظ أن لفظ القول قد حل محل الإشارة، فراوي الحديث قد جاء بالقول بديلا عن الإشارة؛ لم يقل (وأشار بيديه) بل قال (قال بيديه) فجعل القول يقوم مقام الإشارة، ممايدل على انتباه القدماء للمعنى الذى تثبته حركة الجسد وجعل هذه الحركة مساوية للتلفظ ، مما يعنى انتباه القدماء إلى وجود لغة موازية للغة الملفوظة، ألا وهى لغة الجسد.

وعلى هذا فإن حركة اليدين فى هذا السياق تجتذب " دلالة التوضيح "[٣٩]، كما أنها تشير إلى " القرب المكاني فى الجنة بين رسول الله ومن يكفل يتيما، وتستخدم الإشارة نفسها الآن للدلالة على الأخوة والحب والتواصل"[٤٠].

وقد تتزاوج حركة اليدين و تعابير الوجه؛ ففى حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة، مما أخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبدالله قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى)[٤١].

فمثل هذه الأحاديث النبوية اكتست بصبغة تعليمية وكانت الإشارة فيها مقصودة من المرسل وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يضمن تمام الفهم لدى المتلقين من صحابته وأبناء أمته، كما حدث حين قرن بين إصبعيه، للدلالة على سرعة مجيء الساعة أو حين احمرت عيناه للدلالة على عظم الأمر الذى يقول فيه خطبته، وكل هذه النماذج اللغوية، تتضح فيها لغة الجسد بوصفها حجة على اللفظ أو المعنى العام للحديث بغية توضيح المعنى وترسيخه فى ذهن المتلقي.

وإقرارا لعدم اختلال الفهم أو اشتباه الدلالة لدى المتلقين، كما أن نص الحديث الشريف الأول يطرح إشكالية حجاجية غير مباشرة، وهى ما الدليل على عظم الثواب الذى يعطاه كافل اليتيم؟

فجاءت الحجة خبرا عن هذه الإشكالية التى جاءت فى الحديث فى صورة إخبارية، لا صورة إنشائية، بمعنى جاءت الإشكالية على نمط خبري، لا على نمط السؤال، وهو المعتاد فى إشكاليات الحجاج، أن يبدأ المحاجّ بسؤال، يجيب عنه الطرف الآخر.

والسؤال الحجاجيّ المتخيل هنا، والدال على الإشكالية الحجاجية، هو ما الدليل على عظم ثواب كافل اليتيم، عن أى ثواب آخر؟ لأن كفالة اليتيم مذكورة فى القرآن الكريم(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الانسان / ٨).

فجاء الحديث الشريف، مشفوعا بحجة على عظم كفالة اليتيم دون العطاءات المالية الأخرى من خلال الحجة المقامية الجسدية، وهى اقتران السبابة والوسطى للدلالة على مدى قرب الكافل من النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الجنة، ودلالة الحجة دلالة تصاعدية، تؤشر على تطابق اللفظي مع النفسي والحجة على ذلك التطابق لغة الجسد المتمثلة فى إشارة اليد.

إذن النص يحمل إشكالية حجاجية مباشرة فى النص كانت ذات دلالة تصاعدية وهدفها تعليمى فى المقام الأول، وهى مباشرة لأنها وإن لم ينص عليها فى نص الحديث فقد نصّ عليها فى القرآن الكريم، فهى مفهومة من المرجعية الدينية فى قوله تعالى فى صفة الأبرار (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان / ٨) وأن ثوابهم فى الجنة كونهم يشربون من عين الكافور، (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦))(الإنسان / ٥-٦)

ولما كان القرآن والحديث نصين يكمل بعضهما بعضا، جاء الحديث الشريف مفصلا لما أجمله القرآن عن ثواب الأبرار من عين الكافور، ففصل وفسر بأنه بالإضافة إلى عين

الكافور وكاس الكافور، فإن من عظم الثواب قرب مجلسهم من النبيّ صلى الله عليه وسلم يخالطونه وينظرون اليه كما اقترب الإبهام من السبابة.

إذن الإشارة المقصودة فى الحديثين الشريفين قد جاءت لتوضيح الدلالة وتخصيصها بمعنى القرب؛ فعلى حين دل القرب فى الحديث الأول على القرب المكاني من النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الجنة، فإن القرب فى الحديث الثانى دل على القرب الزماني بين بعثة النبيّ صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة.

وإلى جانب الإشارة المقصودة فى لغة الجسد، فإن دلالتيّ النصبة والحال اللتين تحملان معنى القصد من المرسل، تسهمان معاً فى إتمام الرسالة بين المرسل والمستقبل من خلال دعم التطابق بين اللفظي والنفسي.

حركة الرأس فى الحديث الشريف
(قصة زواج النبيّ صلى الله عليه وسلم من ابنة الجون):

وقد يطرح النص اشكالية حجاجية غير مباشرة لا تخضع لقصد المرسل، ولكنها ذات دلالة عكسية بحيث تسهم لغة الجسد فى فك رموز تلك الإشكالية، وتخضع هذه الإشكالية بوصفها لغة للجسد لمستوى الإدراك الحسي للغة الجسد أو الحركة الجسدية.

ويعرف الإدراك الحسى فى علم النفس الحديث بأنه:

"العملية العقلية التى تتم بها معرفتنا للعالم الخارجي عن طريق التنبيهات الحسية"[٤٢]. وأشير فى هذا السياق إلى أن ابرز قوانين الإدراك التى يستفيد منها اللغوي فى فك شفرات لغة الجسد خاصة فى مجال الدلالة العكسية؛ تلك القوانين التى وضعتها مدرسة الجشطالت والتى تفيد فى تقنين وتفسير كيفية الإدراك الحسي.

ومن أبرز هذه القوانين "قانون الشكل الحسن، فعند إدراكنا لموضوع ما فإن حواسنا تميل لأن ننظمه بحيث يكون الجشطالت الخاص به ذا انتظام"[٤٣].

وقد تفرع عن هذا القانون، قانون الإغلاق، وهو يشير إلى أننا " نميل فى الإدراك لأن نكمل ماليس كاملا مثلما يحدث فى السلوك تماما حين نميل إلى الموقف الذى اكتمل ونشعر بالتوتر إلى أن يصل إلى مرحلة ما من الاكتمال وهذا هو قانون الإغلاق"[٤٤].

"ويتمثل ذلك العامل لغويا عندما لا نسمع بعض الكلمات بوضوح فنستكملها بأنفسنا... فعندما يكون المدرك ناقصا فى أحد أجزائه فإن الإدراك بوصفه عملية عقلية وحسية تكمل هذا النقص تلقائيا) ويمثل عامل الإغلاق عاملا نفسيا ملحا عند إدراكنا للأشياء إذ نميل لا شعوريا إلى استكمال الأجزاء غير المكتملة"[٤٥] ؛ إذ يسهم هذا الإغلاق فى تخفيف التوتر، حيث ترى عالمة النفس "ويلجا" أن "تقليل التوتر الذى يصاحب الإغلاق يكون مشبعا مثلما يكون التدعيم أو الثواب مشبعا"[٤٦].

وعند مقاربة النصوص اللغوية من خلال نظرية الجشطالت النفسية، فإن أهم ما يفيد اللغوي هو كونها تقدم تفسيرا لما سكت عنه النص، أو ما يسمى الفجوات النصية، حيث تحث المتلقي أو المستقبل على ملء هذه الفجوات ومن ثم تسهم فى تقدم إدراكنا الكامل لنص ما، وفى سياق الإشكالات الحجاجية غير المباشرة، تسهم لغة الجسد فى ملء فجوات النص، مما يعمل على تقديم مستوى أعمق من الإدراك لنص من النصوص، دون شطط فى ضوء الإضاءات التى يقدمها النص.

ونستطيع أن نتبين عامل الإغلاق ودور لغة الجسد فى إضاءة النص، وسبر أغوار الإشكالية الحجاجية من خلال قصة خطبة النبيّ صلى الله عليه وسلم لابنة الجون. وهذه القصة توزعت مصادرها بين كتب صحيح الحديث والطبقات.

فقد روى البخاري فى صحيحه (٥٢٥٤) (عن الامام الأوزاعي قال سألت الزهري أي أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم استعاذت منه ؟ قال أخبرنى عروة عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بعظيم ألحقى بأهلك)[٤٧].

وروى البخارى أيضا عن سهل بن سعد ٥٦٣٧ قال (ذكر للنبىّ امرأة من العرب فأمر أبا أسيد الساعدىّ أن يرسل إليها فأرسل إليها فقدمت فنزلت فى أجم بنى ساعدة فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى جاءها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها فلما كلمها النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت أعوذ بالله منك فقال قد أعذتك منى.....)[٤٨] إلى آخر الحديث.

وفى كتاب الطبقات الكبرى " قال قدم النعمان ابن أبى الجون الكندى وكان ينزل وبنى أبيه نجدا مما يلى الشربة، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما فقال يارسول الله ألا أزوجك أجمل أيم فى العرب كانت تحت ابن عم لها فتوفى عنها فتأيمت وقد رغبت فيك وحطت إليك"[٤٩].

ولعلنا نلاحظ أن الحديث الأول فى صحيح البخارى قد قدم قصة المرأة التى استعاذت من النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أتت هذه القصة على هيئة سؤال هو المحفز للحكي وهو (أى أزواج النبيّ استعاذت منه ؟) وهو سؤال وجهه الإمام الأوزاعىّ إلى الامام الزهرىّ. وقد جاء هذا الحديث أولا لثانٍ، فى مسند البخارى يحكى قصة النبيّ مع ابنة الجون.

وقد جاء الحديث الثانى فى حكاية القصة، على قدر أكبر من التفسير مشفوعا بلغة الجسد، فعلى حين جاء الحديث الأول مصدّرا بسؤال هو المحفز للحكى، فإن الحديث الثانى طرح إشكالية حجاجية غير مباشرة؛ تمثلت فى هذا السؤال: ما حجة هذه المرأة فى رفض النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من هو مقاما ؟ لماذا رفضت هذه المرأة النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم أو لماذا استعاذت هذه المرأة من النبيّ؟

ولعل المسكوت عنه الذى سكت عنه الحديث الأول، من بيان سبب هذه الاستعاذة وهو أمر عظيم أن ترفض امرأة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو رسول الأمة وأعلاها مقاما، قد أجاب عنه النص الحجاجي فى الحديث الثانى؛ حيث طرح الحديث الثانى نفس إشكالية الرفض، بطريقة غير مباشرة أى لم يطرحها من خلال سؤال مباشر، وإنما تستنبط الإشكالية منه استنباطا، حيث تمثل هذه الإشكالية أمرا ملحا على قارئ الحديث، ثم أجاب عنها من خلال لغة الجسد.

أقول إن الإشكالية الحجاجية المشار إليها فى الحديث الثانى قد فسرته لغة الجسد التى شفع بها هذا الحديث؛ حيث أجابت عن تلك الإشكالية، وجاءت حجة على أن رفض هذه المرأة للنبيّ لم يكن لسبب فى شخص النبيّ صلى الله عليه وسلم، فالنبيّ أكبر من ذلك؛ وذلك على أساس أن الرفض يرجع إلى سبب يتعلق بالمرأة نفسها.

وتفسير ذلك بالنظر إلى هذا الجزء من نص الحديث (فإذا امرأة منكسة رأسها)؛ فالراوي قد ذكر عرضا لغة الجسد الخاصة بهذه المرأة والتى تدخل فى نطاق النصبة أو هيئة الجسم؛ فهى امرأة منكسة رأسها، أى مطأطأة الرأس إلى أسفل؛ فالنبيّ صلى الله عليه وسلم قد دخل على امرأة منكسة رأسها، بمعنى أنها لم تنظر إلى النبيّ أصلا على أساس أن إعراضها عنه يرجع إلى مشكلة خاصة بها ولا علاقة لها بذات النبيّ صلى الله عليه وسلم، فهذه المرأة رافضة لفكرة الزواج من الأساس.

ثم إن كتاب الطبقات الكبرى يوضح حالة هذه المرأة أكثر ويفسر هيئتها المنكسة الرأس، بقوله " كانت تحت ابن عم لها فتوفي عنها فتأيمت "[٥٠].

إذن لغة الجسد قد فسرت رفض هذه المرأة للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنها كانت تحب ابن عمها الذى توفي عنها ومن هنا فإنها كانت راغبة عن النبيّ وعن أى انسان آخر؛ فالإعراض ليس لذات النبيّ صلى الله عليه وسلم وإنما لحالة شعورية تعانيها المرأة تجاه زوجها المتوفى. فدلالة حركة الرأس هنا بالتنكيس، هى الإعراض.

ولعل وضع نصوص الأحاديث بعضها إلى جانب بعض مع الأخذ بمنطق لغة الجسد، يوضح أن ما ذكره الرجل من أنها قد رغبت فى النبيّ صلى الله عليه وسلم، ليس إلا مجرد كلام أراد به هذا الرجل أن يوطد علاقة قومه بالنبيّ صلى الله عليه وسلم من خلال تزويجه لواحدة من أهله، على عادة العرب قديما، حيث كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يمثل رأس السلطة المدنية والدينية فى ذلك الوقت.

ومن هنا فإن الدلالة التى تطرحها لغة الجسد تمثل دلالة مخالفة للملفوظ القولي البحت المنصوص عليه فى النص الثالث والمستقطع من كتاب الطبقات وهو ما جاء على لسان النعمان بن أبى الجون:

"يارسول الله ألا أزوجك أجمل أيم فى العرب... وقد رغبت فيك وحطت اليك"(٥١)

فحركة الرأس من خلال تنكيس المرأة رأسها قد أتت حجة على نقيض ما شاع من أن هذه المرأة راغبة فى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فهذه المرأة لم تكن راغبة فى النبيّ ولا فى غير النبيّ صلى الله عليه وسلم، حزنا على زوجها المتوفى وكان هذا مكرا وتدليسا من وليها رغبة منه فى توطيد علاقة أهل نجد بالنبيّ صلى الله عليه وسلم عن طريق المصاهرة.

ومن هنا فإن الدلالة التى طرحتها لغة الجسد هى دلالة عكسية فى اتجاه مخالف لاتجاه الملفوظ القولي، وهوالأمر الذى فسر تلك الإشكالية الحجاجية المبهمة والتى لم يذكرها الراوى من سبب رفض هذه المرأة للنبيّ صلى الله عليه وسلم، و الاحتجاج على أن رفض هذه المرأة للنبىّ لا يرجع إلى أمر أو نقص فى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وإنما يرجع إلى حالة شعورية ونفسية خاصة بالمرأة لنقص فيها وهى كونها لم تستطع أن تتجاوز محنة فراقها لزوجها.

فالحجة الأولى التى تخضع للغة الجسد فى النص هى أنها امراة منكسة الرأس وفيه النصبة بانحراف الرأس إلى الأسفل بمعنى أنها لم تنظر للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وأن إعراضها عنه سابق للنظر إليه صلى الله عليه وسلم، والحجة الثانية إخبارية، تخضع لدلالة الإخبار عن حال تلك المرأة وظروفها الاجتماعية من أنها أيم توفي عنها زوجها وقد تكون امرأة محبة لزوجها المتوفى ولا ترغب بالزواج أساسا ولا علاقة للنبيّ صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر.

والنتيجة هى أن رفض المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم يرجع إلى حالة نفسية لدى المرأة ولا علاقة لها برفض النبيّ صلى الله عليه وسلم، لذاته ومن هنا فإن الوظيفة الثانية للغة الجسد هى إنتاج المعنى العكسي المخالف للملفوظ والمتمثل فى تحريض النعمان ابن أبى الجون للنبيّ على الزواج من ابنته على أساس كونها راغبة فى هذا الزواج.

وهذا هو المعنى الذى نسفته لغة الجسد الخاصة بالمرأة والتى خالفت ملفوظ وليها وكان هذا التعبير الجسدى مؤذنا برفض المرأة لهذا الزواج حيث كان مؤشرا جسمانيا استباقيا على ما كان سيحدث من الرفض أو فلنقل حجة جسدية استباقية تؤذن بما سيتم من الرفض، كما أنها فسرت الإشكالية الحجاجية الخاصة بهذا الرفض؛ حيث فسرت ماهية هذا الرفض وجعلته فى إطار معين يرشحه السياق.

الخاتمة والنتائج

١.تمثل لغة الجسد معياراً لصدق الرسالة من خلال مدى التطابق بين اللفظي و النفسي المُؤَشَّر له بلغة الجسد، وكلما زاد اختلاف االلفظي عن النفسي أى كلما اختلف الكلام الملفوظ عن لغة الجسد، زادت وهمية الرسالة الملفوظة، وأصبح للغة الجسد دورا فى إلغاء الرسالة الملفوظة أو عكس دلالتها، وكلما اتفقت لغة الجسد مع الملفوظ، زادت قوة الاتصال بين المرسل والمستقبل على معيار الفهم، وأصبح للغة الجسد دور فى توضيح المعنى وتخصيصه.

٢.حملت الإشارة المقصودة فى الحديث الشريف معنىً تعليميا والتى عبر عنها رواة الحديث بقولهم (قال بيديه) ، حيث قامت لغة الجسد بتخصيص الدلالة بمعنى القرب فى الحديثين الشريفين محل الدراسة، وقد خصصت الدلالة بالقرب المكانى فى الحديث الأول بينما خصصت الدلالة بالقرب الزمانى فى الحديث الثانى.

٣.كلما اتفقت لغة الجسد مع الملفوظ، كانت حجة الجسد تصاعدية الدلالة بمعنى أنها تسهم فى إزجاء عملية التواصل بين المرسل والمستقبل فى اتجاه المعنى الملفوظ، ومن هنا ألح القرآن الكريم فى خطاب بني اسرائيل على أن يكون الملفوظ القولي (قولوا حطة)، مقترنا بلغة جسد متفقة معه (ادخلوا الباب سجدا)، لتصبح لغة الجسد هنا حجة تصاعدية على الخشوع والتواضع إيذانا بإتمام الرسالة المرجوة بين بنى اسرائيل وأهل بيت المقدس، من أنهم لم يدخلوا الأرض المقدسة دعاة حرب وإنما دعاة سلام وهو ما لم تفعله بنو اسرائيل.

٤.تكون الحجة عكسية دالة على على كذب الرسالة وذلك عند عدم اتفاق الملفوظ مع لغة الجسد، وهو مافعلته امرأة العزيز مع النسوة؛ حيث قامت بعمل معادل حركي بصري للمقالة اللفظية التى قد يعتورها التدليس والكذب ليصبح قطع اليد مؤشرا جسديا على تسجيل الموقف المتضمن إعجاب النسوة بيوسف عليه السلام ومن ثم أصبح قطع اليد حجة عكسية تخالف ما ادعته النساء من اتصافهن بالنزاهة والشرف عن امرأة العزيزوذلك فى قولهن (إنا نراها فى ضلال مبين).

٥.تستطيع لغة الجسد أن تبرر قفزات الدلالة فى النص بوصفها حجة استباقية تبرر تلك القفزات وتمهد لها، كما حدث فى قصة موسى عليه السلام إذ إن رؤية موسى للمرأتين، ثم توليه إلى ظل الشجرة ثم الدعاء، كل هذا مثل حجة مقامية استباقية، مهدت للمتلقى قبول موسى لذلك المهر الباهظ لابنة شعيب وهو أن يخدمه عشرة سنين كما أنها مهدت لتحول سيرورة النص نحوحدث الزواج لا الاستئجارفقط.

٦.استفادت لغة الجسد من قوانين علم النفس خاصة قانون الإغلاق لدى علماء الجشطالت وهو ذلك القانون الذى يفضى إلى رغبة المتلقى فى إكمال القصص غير الكاملة والمواضيع غير المكتملة من خلال أحداث ملائمة تبعا لما تفرضه طبيعة النص من إيماءات وإشارات، لأن القصص غير المكتملة تثبت فى النفس نوعا من التوتر الذى لا ينزاح إلا من خلال عملية إكمال النصوص وسد فجواتها، من خلال ما يسمى قانون الإغلاق أى سد فجوات النص، وتبرير ما لم يبرره النص، وحل الإشكاليات التى سكت عنها النص، وهو الدور الذى تلعبه لغة الجسد فى النصوص تبعا لقانون الإغلاق.

٧. يتضح قانون الإغلاق المتصل بلغة الجسد والذى يسهم فى حل الإشكاليات الخاصة بالنصوص والتى قد يسكت عنها النص ، فى قصة خطبة النبيّ صلى الله عليه وسلم لابنة الجون، وبمضاهاة الروايات المختلفة للحديث الشريف فى كتب الصحاح وكتب الطبقات، نلاحظ أن راوى الحديث قد اكتفى، بإثبات حدث رفض المرأة للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وسكت عن تبرير هذا الرفض وإثبات سببه، فترك القصة مفتوحة وغير مغلقة بمعنى غير

مكتملة الحدث، فكان السؤال الذى يطرح نفسه والذى يتم من خلاله إغلاق النص هو لماذا ترفض هذه المرأة النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو رأس السلطة المدنية والدينية وهو أمر عظيم لدى القارئ المسلم، تحاشى راوى الحديث التطرق إليه، لعظم هذا الأمر، ولكن بالاتكاء على لغة الجسد، تمت الإجابة على هذا السؤال،فالمرأة لم تنظر أساسا للنبى صلى الله عليه وسلم ولم ترفع رأسها للنظر إليه متأثرة بصدمة فراقها لزوجها المتوفى فهى راغبة عن حدث الزواج عموما وليس للأمر علاقة بشخص النبيّ صلى الله عليه وسلم.

Abstract

The argumentation in the body language

By Hend Raafat

There is no doubt that the body language plays a key role in proving the argumentative meaning in the text. This meaning is done through two models The first model is concerned with intended physical signaling. The second model is concerned with unintended physical signaling.

The arguments which belong to the second model devided into two types. The first type is the argument of the body case which refers that the body is moved from case to case.

The second type is the argument of the body expressions which refers that the body has a particular expression in a particular case.

According to Gestalt theory , both arguments fill the gaps in the text through the body language , so they help to explane and clarify the verbal expressions.

Key words:
Argumentation – Body language – Gestalt theory – The case – Verbal expression.

الهوامش

(١) معجم علم اللغة النظرى، محمد على الخولى، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٩١م، ط٢ صـ١٤٥

(٢)لغة الجسد النفسية، جوزيف ميسنجر، ترجمة: محمد عبدالكريم إبراهيم، دارعلاء الدين، دمشق، ٢٠٠٧، ط١، صـ ٩، بتصرف.

دار كنوز، القاهرة،٢٠١٦م، ط١، صـ١٥ (٣) لغة الجسد – اللغة الصامتة، حمزة عكاشة،

(٤)المرجع الأكيد فى لغة الجسد، آلان، بربارا بيز، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٨، ط١،صـ٢٣

(٥) نفسه، صـ١٠

(١) المرجع الأكيد فى لغة الجسد / آلان، بربرا بيز، صـ٢٥

(١) العلاقات العامة والاتصال الإنسانى، صالح خليل أبو إصبع، دارالشروق، الأردن، ٢٠٠٦م، ط١، صـ ٣٨

(١) البيت من أبيات الحماسة للشاعرالجاهلى الهذلول بن كعب العنبرى، شرح ديوان الحماسة لأبى تمام، أبوعلى أحمد بن محمد المرزوقى، ت: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م، ط١، باب الحماسة، ج١، صـ٤٩٤

(٨) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى، ت: محمد على النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ط٤،ج١ صـ٢٤٦

(٩) الواضح فى أصول الفقه، أبو الوفاء ابن عقيل، ت: عبدالله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط١، ج١، صـ ٢٧٩

(١٠) نفسه، ج١، صـ٣٣١
(١١) نفسه، ج١، صـ ٣٣١
(١٢) نفسه، ج١، صـ٣٣١
(١٣) البرهان فى وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، ت: أحمد مطلوب، خديجة الحديثى، مكتبة العانى بغداد، ١٩٦٧م، ط١ صـ٧١
(١٤) البرهان فى وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، صـ ٧٤
(١٥) البيان والتبيين/ أبو عثمان بن بحر الجاحظ، ت: درويش جويدى، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ٢٠٠٠م، ط٢، ج١ / صـ٧٥-٨٣
(١٦) نفسه، ج١، صـ٥٧
(١٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنى، الحبيب بن الخوجة، الدارالعربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨، ط٢، صـ٩٨.
(١٨) نفسه، صـ٩٨
(١٩) نفسه، صـ٩٨
(٢٠) مدخل إلى علم النفس، لندا. ل. دافيدوف، ت. سيد الطواب، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة،، ١٩٨٨م، ط٣، صـ٢٨٤.
(٢١) نهاية السول فى شرح منهاج الوصول، الإمام الشيخ جمال الدين الاسنوى الشافعى، ت: عبد القادر محمد على، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط١، ج٢صـ١٣.
(٢٢) نفسه، ج٢ صـ ١٣.
(٢٣) مفتاح العلوم، السكاكى، يوسف بن أبى بكر، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط٢، صـ٤١٢.
(٢٤) لغة الجسد النفسية، جوزيف ميسنجر، صـ ٩ بتصرف
(٢٥) روح المعانى، الإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسى، ت: على عبدالبارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ط١، ج١ صـ١١
(٢٦) روح المعانى، الألوسى، ج٧ص٣١
(٢٧) نفسه، ج١ ص١١
(٢٨) كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين على بن حسام الدين الشهير بالمتقى الهندى، ت: (٢٩) بكرى حيانى، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ط ٥، حديث رقم ١٢٦٠
روح المعانى، الألوسى، ج١ ص ٢٦٦
(٣٠) نفسه، ج١ ص ٢٦٥
(٣١) روح المعانى، الألوسى، ج٦ ص ـ٤١٨
(٣٢) روح المعانى، الألوسى، ج٦ ص ٤١٨.
(٣٣) روح المعانى،الألوسى، ج١٠، ص ٢٧٣
(٣٤) روح المعانى، الألوسى، ج١٠ ص٢٧٤
(٣٥) نفسه، ج ١٠ ص ٢٧٣
(٣٦) روح المعانى، الألوسى، ج١٠ ص ٢٧٥
(٣٧) البيان بلا لسان دراسة فى لغة الجسد، مهدى أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ط١
(٣٨) صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل البخارى، كتاب الأدب، ت: محمد فؤاد عبدالباقى، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ط١، باب فضل من يعول يتيما ، حديث رقم ٦٠٠٥
(٣٩) دراسات لسانية فى الحديث النبوىّ، ا.د أحمد عارف حجازى، دار فرحة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط١، صـ٩١
(٤٠) نفسه، صـ ٩٥
(٤١) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى، ت: محمد فؤاد عبدالباقى، دارإحياء الكتب العربية، القاهرة،١٩٩٩م، ط١، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة،حديث رقم ٨٦٧
(٤٢) علم اللغة النفسي، جلال شمس الدين، ص٤٢
(٤٣) علم اللغة النصى، جلال شمس الدين، ص٤٣
(٤٤) نفسه، ص٤٤
(٣) علم اللغة النصى، جلال شمس الدين، ص٤٤

(٤٦) نفسه، ص٤٥
(٤٧) صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل البخارى، كتاب الطلاق، باب من طلق وهل يواجه امرأته بالطلاق، حديث رقم ٥٢٥٤
(٤٨) نفسه، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبيّ صلى الله عليه وسلم وآنيته، حديث رقم ٥٣١٤
(٤٩) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهرى، ت: على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط١، ج١٠ ص١٣٨
(٥٠) الطبقات الكبرى، الزهرى، ج١٠ ص١٣٨
(٥١) الطبقات الكبرى، الزهرى ، ج١٠ ص١٣٨

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- أبو إصبع، صالح خليل، العلاقات العامة والاتصال الإنسانى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط١
٣- الاسنوى، الامام جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الشافعى، نهاية السول فى شرح منهاج الاصول، ت: عبدالقادر محمد على، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ط١
٤- الألوسى، شهاب الدين السيد محمود، روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، ت: على عبدالبارى عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه- ١٩٩٤م، ط١
٥- البخارى، أبوعبدالله محمد بن اسماعيل، ت. محمد فؤاد عبد الباقى، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ٢٠٠٨، ط١
٦- بييز، آلان – بربارا، المرجع الأكيد فى لغة الجسد، مكتبة جرير، الرياض، ٢٠٠٨م، ط١
٧- الجاحظ، أبوعثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدى، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان،٢٠٠٠م، ط٢
٨- ابن جنى، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد على النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ط٤
٩- حجازى، أحمد عارف، دراسات لسانية فى الحديث النبوى، دار فرحة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط١
١٠- الخولى، محمد على، معجم علم اللغة النظرى، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩١م، ط٢
١١- دافيدوف، ليندا، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، ط٣.
١٢- الزهرى، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ت: على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط١
١٣- السكاكى، يوسف بن أبى بكر، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٢
١٤- شمس الدين، جلال، علم اللغة النفسي المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأسكندرية، ٢٠٠٣م، ط١
١٥- عرار، مهدى أسعد، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ط١
١٦- ابن عقيل، أبوالوفاء، الواضح فى أصول الفقه، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ط١
١٧- عكاشة، حمزة، لغة الجسد – اللغة الصامتة، دار كنوز، القاهرة، ٢٠١٦م، ط١
١٨- القرطاجنى، حازم، منهاج الأدباء وسراج البلغاء، تحقيق الحبيب ابن الخوجة،، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٨م، ط١
١٩- القشيرى، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت. محمد فؤاد عبدالباقى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٩١م، ط١

٢٠- الكاتب، ابن وهب، البرهان فى وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثى، مكتبة العانى، بغداد،١٩٦٧م، ط١
٢١- المتقى الهندى، علاء الدين على بن حسام الدين، كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، ت: بكرى حياتى، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ط ٥
٢٢- المرزوقى، أبوعلى، أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة لأبى تمام، ت: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م، ط١
٢٣- ميسنجر، جوزيف، لغة الجسد النفسية، ترجمة: محمد عبدالكريم إبراهيم، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٧، ط١